

الحلقة الرابعة

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، وأكدت على سلطانه الإلهي.

ما هو موقفك مستمعي من الناس الذين يعادونك ويفعلون كل شيء للإساءة إليك؟ أو بتعبير آخر كيف تتصرف تجاه أعدائك الشخصيين؟ هل تتأصّبهم العداوة وتحاول أن تعمل ضدهم؟ وفي المقابل هل هناك من طريقة أو وسيلة تستطيع بها أن تزيل العداوة بينك وبينهم، وترجعهم كأصدقاء؟ إن قوانين المجتمعات البشرية لابل بعض الأديان، تدعوك لكي تقابل العداوة بالعداوة، وأن تواجه أعدائك وتنتقم منهم. لكن ما هو موقف المسيحية بالنسبة لهذا الموضوع الشائك والهام؟

إليك مستمعي ماذا قال المخلص المسيح في موعظته الشهيرة على الجبل حول هذا الموضوع: «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَاعِينِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مَبْغِضِكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الْأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ» (بشارة متى ٤٣:٥-٤٥).

عندما ذكر المخلص المسيح: «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ». فهو كان يشير إلى كتاب العهد القديم في الكتاب المقدس حيث نقرأ الوصية: «لَا تَنْتَقِمَ وَلَا تَحْقِدْ عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِكَ، بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. أَنَا الرَّبُّ» (لاويين ١٩:١٨). والمعنى المتضمن هنا: أنه عليك أن تحب قريبك كنفسك، من أبناء شعبك فقط، وليس من الشعوب الأخرى، وتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. إذ كان هذا هو الأمر المتعارف عليه في اليهودية. ولقد صحح المسيح في مناسبة أخرى مفهومه لمعنى القريب، إذ صار يشمل كل البشر الآخرين، حتى أعداءنا.

لكن لنلاحظ هنا قول المسيح: «وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ». وهذا يشير أولاً إلى سلطان المسيح الإلهي، ودعوة لنا لكي نحب أعداءنا كلهم بغض النظر عن جنسهم، وقوميتهم، ودينهم. فماذا يعني كلام المسيح هذا؟ وهل بإمكاننا العمل به؟

صديقي المستمع، كما ذكرنا في اللقاء الماضي، فإن المسيح قد أعلن بدء عصر جديد، هو عصر ملكوت الله. ولهذا العصر الجديد مبادئه السامية الخاصة به. وعلى رأس هذه المبادئ مبدأ المحبة، لأن الله محبة. ولهذا على الإنسان لا أن يحبّ أصدقاءه ورفقائه فحسب بل أعداءه أيضاً. وقد خطا المسيح خطوة أبعد من ذلك عندما قال: «بَارِكُوا لَاعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ». أي علينا لا أن نحب أعداءنا فقط، بل أن نبارك لاعيننا، ونُحسن إلى مبغضينا، ونصلّي لأجل الذين يسيئون إلينا ويطردوننا.

وبتعبير آخر علينا أن نقابل الاساءة بالعمل الإيجابي، فنبارك لاعيننا، ونُحسن إلى مُبغضينا، ونصلّي لأجل الذين يسيئون إلينا ويطردوننا. ولنلاحظ قول المسيح بعدها: «لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ». أي إذا أردنا فعلاً أن نكون من أولاد الله علينا أن نتحلّى بهذه المبادئ والصفات. والسبب لأن الله الآب السماوي يعامل جميع البشر سواسية فهو: «يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الْأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ». إن الله لا يفرّق في معاملته بين إنسان صالح وإنسان شرير، ولهذا علينا أن نحبّ الجميع إذا كنّا فعلاً من أولاد الله.

وتابع المسيح مؤكداً حجته فقال: «لأنّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمْ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيُّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هَكَذَا؟» (بشارة متى ٥: ٤٦ و٤٧). وبتعبير آخر إذا كان أولاد الله يسلكون كغيرهم من الناس الأشرار وجباة الضرائب الظالمين، فأَي فرق بينهم وبين هؤلاء الناس؟

مستمعي الكريم، لقد أكّدت المسيحية على هذا المبدأ الهام، مبدأ المحبة، ودعت لتطبيقه في حياة أولاد الله، أي المؤمنين بالمسيح. وهو ما نراه واضحاً في كل كتب العهد الجديد من الكتاب المقدس. إذ دعت إلى محبة الجميع، والابتعاد عن الانتقام من الأعداء، وفعل الخير مقابل الشر. وها هو الرسول بولس يكتب قائلاً: «لَا تَنْتَقِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الْأَحْيَاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «لِي النِّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمَهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لِأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هَذَا تَجْمَعُ جَمْرًا نَارًا عَلَى رَأْسِهِ». لَا يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلْ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ» (رومية ١٢: ١٩-٢١).

هنا يؤكد الرسول بولس على مبدأ المحبة العملية، عندما دعانا لكي نطعم عدونا إن جاع، وأن نسقيه إن عطش. وشبه ذلك بنيران المحبة التي لا تُقهر. وختم قائلاً: أنه علينا أن نغلب الشرّ بالخير. فهل هناك أسمى من هذه المبادئ والتعاليم يا صديقي؟ أو لا ترغب أن تمتلكها؟

لعلّ السؤال الآن: كيف بإمكاننا نحن البشر الخطاة أن نحبّ أعداءنا؟ وهل يمكننا فعلاً أن نحسن إليهم ونقابل عداءهم بالمحبة؟ وللجواب نقول: إن هذا ممكن ومتيسر، إذا آمنّا بمحبة الله الكاملة لنا. إن الله محبة كما ذكرنا قبل قليل، ولكن علينا أن نؤمن بمحبته الكاملة المضحية من أجلنا. ولقد تجلّت محبة الله بكل وضوح في إرساله المخلص المسيح لكي يموت على الصليب كفارة من أجل خطايانا، أي لكي يأخذ عقاب ذنوبنا عوضاً عنّا.

وعندما نؤمن بمحبة الله التي ظهرت في موت المسيح يسوع على الصليب، نكون قد اجتزنا الخطوة الأولى للحصول على محبة الله في قلوبنا. وعندما تتسكب محبة الله في قلوبنا، ونصبح بالتالي من أولاد الله، نستطيع أن نحبّ الآخرين، حتّى ولو كانوا أعداء لنا، وهو ما اختبره الكثيرون. فهل تود مستمعي أن تحصل على محبة الله في حياتك؟ لما لا نؤمن الآن بالمخلص المسيح، الذي وحده يستطيع أن يحلّ المحبة في قلبك.